الخدمة الاجتماعية وبناء النماذج
دليل الملاحظة كنموذج
للتعرف على شخصية الطفل المسلم

أ.د. زين العابدين محمد

مقدمة

إن بناء الشخصية الإسلامية وخاصة في البداية أي في مرحلة الطفولة ليس مسألة – كما يتوقع البعض – وليدة الواقع ومسيرة البيئة وخاصة ونحن في زمان اختلطت فيه الثقافات والديانات واهتز في الكيان الإنساني تقوى اللَّه ، دون أن تكون هناك أدوات ووسائل تساعد على تحقيق هذه الشخصية بل وترسي القواعد والأسس الإسلامية في جنباتها من مرحلة الطفولة حتى مرحلة الكهولة .

ولقد تعددت الوسائل الإسلامية لتحقيق ذلك سواء أكان ذلك عن طريق القدوة أو الملاحظة أو الموعظة أو العقاب أو هم معًا جميعًا ، يشكل تكامل يحقق بناء الكيان الإسلامي في الطفل منذ بداية حياته .

وتعتبر الملاحظة إحدى الوسائل الأساسية للتنشئة الاجتماعية للطفل تنشئة إسلامية إيمانية ، بل من أهم الوسائل التي تساعدنا على التعرف على المدى الذي وصلت إليه الشخصية من إيمان وما تحتاجه إليه وما الذي يمكن أن نفعله لها ، وهذا ما دفعنا أن نستلهم التراث الإسلامي في الكتاب والسنة لكي نقيم على أسس ومنه أحد الأساليب ألا وهو أسلوب الملاحظة ، مقتنعين أن الكتاب فيه كل شيء وفقًا لقول اللَّه تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [النحل : ٨٩] محاول تكوين وإقامة دليل للملاحظة يمكن استخدامه كنموذج وكمقياس التعرف على شخصية الطفل المسلم ووضع إطار تصوري لدور الأخصائي الاجتماعي يوضح متى وكيف وأين ولماذا يستخدم هذا الدليل في مجال الطفولة .

أولًا : الخدمة الاجتماعية الإسلامية والملاحظة

تعتبر الخدمة الاجتماعية الإسلامية هي طوق النجاة ، الذي يمكن من خلاله وفي

تصوري أن نحدد الشكل والمضمون السليم لعملنا كأخصائيين اجتماعيين ، وليس في هذا خلط كما يقول البعض بين الأعمال المهنية والدين .

فالدين الإسلامي كدين للمعاملة ، قد حدد كلَّ الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بين البشر أجمع ، ويكفي أن نقرر في الجانب الاجتماعي أن الإسلام نظام التكامل الاجتماعي الذي لو عمل به لحققنا حياة سعيدة ليس لمجتمعنا ولكن للبشرية جمعاء ... وقد وضع أسس ووسائل يمكن من خلالها تحقيق كل أهداف الغاية الإسلامية ومن بينها وسيلة الملاحظة .

١ - الملاحظة :

تعريف الملاحظة :

تعرف الملاحظة بأنها : « رصد مركز للوقائع بهدف معرفتها بشكل أفضل » [١] .

وهناك نوعان من الملاحظة ، الأولى الملاحظة الحسية ، والثانية الملاحظة العلمية فالملاحظة الحسية هي سابقة على العلم يقوم بها الملاحظ دون تحضير سابق ، ودون خطة محددة ، ولكن يقوده في ملاحظاته فقط الحدس والخيال .

أما الملاحظة العلمية ، فهي ملاحظة منظمة سبق الإعداد لها وهي منظمة تسعى إلى كشف ورصد كافة أبعاد الظاهرة محل الدراسة [٢] .

لذا كلما كانت الأبعاد والجوانب لهذه الظاهرة محددة ، كلما أحاط الباحث نفسه بأكبر قدر ممكن من الضمانات ليطمئن إلى صدق النتائج التي يتوصل إليها . وهذا ما سوف نتبعه ، حيث نجعل الملاحظة ملاحظة علمية وفق برنامج محدد هو دليل يسمى دليل للملاحظة كنموذج محدد ، يوضح أبعاد الشخصية الإسلامية للطفل ، يمكن أن يعطي نتائج أكثر تحديدًا ووضوحًا وأكثر فاعلية .

أهمية الملاحظة :

يمكن تحديدها في الآتي :

أ – أنها أسلوب يكشف لها عن كلمات الإنسان (وخاصة العميل) المسموعة وغير

---

(١) ج . ل . لوبيه ميل ، مقدمة في مناهج بحث العلوم الاجتماعية ، عرض علا مصطفى أنور ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، (سنة ١٩٨٥م) ، (ص ٦) .

(٢) المرجع السابق ، (ص ٦) .

المسموعة ، وما وراء هذه الكلمات من معانٍ وما يختفي خلف هذه المعاني من دلالات ، بل وما وراء السلوك من أحاسيس [١] .

ب – هناك اتفاق عام حولها بأنها من أهم الأسس الفنية والعملية التي تفيد كلًّ من الأخصائيين الاجتماعيين والباحثين والمهنيين في التعرف على حقائق ومعلومات لها أهمية خاصة يريدون معرفتها .

جـ – لا يمكن للباحث أو للمهني أو للمربي أو للمعلم أن يلاحظ بطريقة عرضية أو ارتجالية ، طالما أردنا أن نتحرك ونعمل بأسلوب علمي ، وإنما لا بد وأن يعرف أيًّا منهما ، وبالتحديد ما الذي يركز انتباهه عليه وكيف يسجل ما يراه وما يسمعه وما يحسه بدقة تامة [٢] . وهذا هو ما تعرف به الملاحظة .

د– تتميز الملاحظة عن غيرها من الأسس الفنية وأدوات جمع البيانات بأنها تستخدم لجمع بيانات تتصل بسلوك الأفراد الفعلي ، وكذلك يستخدمها الباحث في دراساته الكشفية والوضعية والتجريبية [٣] .

هـ – على الرغم من قيام المتخصصين والمهنيين باستخدام هذا الأسلوب الفني المهاري في المجالات المهنية المتنوعة ، إلا أن استخدامه هنا له أهميته حيث أنه يتم بناء تحضيراته النظرية وفق الأسس والقواعد الإسلامية الواضحة والمحددة تحديدًا دقيقًا وفق المنهج الرباني وإطاره يستخدم كدليل يسمى دليل الملاحظة وكنموذج من خلاله يتم التعرف على شخصية الطفل المسلم كما رسمها الإسلام في كلٍّ من الكتاب والسنة .

٢ - الخدمة الاجتماعية والملاحظة :

تعتبر الملاحظة أحد الأساليب الفنية الأساسية للخدمة الاجتماعية بصفة عامة ولخدمة الفرد والجماعة بصفة خاصة ، حيث يعتمد عليها الأخصائيون الاجتماعيون في التعرف على سلوك الأفراد والجماعات والمجتمعات ، ومن خلالها يتم تحديد سلوكهم وتحديد أبعاد السلوك ومداه وقربه أو بعده من السلوك السوي أو اللا سوي ومن السلوك

---

(١) عبد الفتاح عثمان ، خدمة الفرد بالمجتمع المعاصر القاهرة ، الأنجلو المصرية ، (جـ ٣) سنة (١٩٧٣م) ، (ص ٢٤٥) .

(٢) ديوبولدن . ن فان دالين ، مناهج البحث الاجتماعي في التربية وعلم النفس ، ترجمة محمد نبيل نوفل وآخرون ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، بدون تاريخ (د.ت) (ص ٤٩١) .

(٣) Selltiz , G, et . Sl.Reseorch Methods in Social Relation , Henrs Holt, (1961) , P (404) .

الإيجابي أو السلبي ... ومن ثَمَّ التعرف على السلوك الذي يحتاج إلى تدعيم والسلوك الذي يحتاج إلى تعديل .

وإذا كنت أرى أن الخدمة الاجتماعية هي « عملية إحداث تغيير اجتماعي مقصود للأفراد والجماعات والمجتمعات ، حتى يمكنهم القيام بمسؤولياتهم على أكمل وجه ممكن » [١] .

وأن عملية التغيير الحادثة والتي يحب أن يقوم بها الأخصائي الاجتماعي لم تأت من فراغ ولكن جاءت نتيجة لملاحظة الأخصائي الاجتماعي بأنهم لا يقومون بمسؤولياتهم على أكمل وجه ممكن ... لذلك نجد أن الأخصائي يستخدم حواسه المختلفة وخاصة حاسة البصر بشكل مقصود وإرادي لخدمة أغراض عمله وعميله من خلال المقابلات المهنية والأنشطة الفعلية ... وفيها يحاول الأخصائي توظيف حواسه كالسمع والبصر واللمس والشم والتذوق ، حتى يمكن أن يقيم ملاحظاته ويقيمها ويفسر ما تعرفت عليه هذه الحواس ، وكلما كان هناك نموذج للملاحظة واضح محدد لموضوع معين ، كلما كانت ملاحظاته أكثر إفادة وقيمة .

ولما كان من الأهمية عند القيام بعملية الملاحظة التفرقة بين التعبير الصادق والمصطنع وبين الواقع والخيال وبين السلوك الفعلي والمستتر وخاصة ونحن نلحظ أوجه التناقض والاختلاف بين القول والفعل ، وبين اتجاه الفرد وسلوكه ، لذلك سوف نعتمد على السلوك الفعلي في رصدنا للوقائع المختلفة المتمثلة في الأسس والقواعد الإسلامية في إطار واحد محدد للتعرف على شخصية العميل الطفل الذي يتعامل معه الأخصائي الاجتماعي في دليل يسمى دليل الملاحظة .

ولما كانت الخدمة الاجتماعية ، وهي تتعامل مع الأفراد لا تنظر إلى زاوية واحدة من الشخصية ، بل تنظر إلى جميع الزوايا والجوانب المختلفة من الشخصية وترى أبعادها وتفاعلها مع الجوانب الأخرى في البنيان الشخصي وعند مواجهتها للواقع أو تفعلها معه ؛ لذلك يكون استخدام الأخصائي الاجتماعي لأسلوب الملاحظة بغرض التعرف على كلٍّ من :

١ - الجوانب المختلفة من الشخصية ، الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية .

٢ - حقيقة التفاعل بين الجوانب المختلفة من الشخصية .

٣ - الشخصية ككيان كلي تفاعلي .

---

(١) عبد الفتاح عثمان ، مقدمة في الخدمة الاجتماعية ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، (١٩٧٩م) ، (ص ١٧٩) .

٤ – اقتراب هذا الكيان الكلي من الشخصية .

٥ – اقتراب الشخصية من الكيان الاجتماعي الإسلامي .

الإسلام وأسلوب الملاحظة :

تعتبر الملاحظة أحد الأساليب في الإسلام ، حيث أكدت عليها النصوص الدينية سواء في الكتاب أو السنة ، وقد جاء هذا التأكيد إما بشكل واضح مباشر أو بشكل استنباطي غير مباشر أي يمكن استنباطه من معنى الكلام ؛ لنقف كباحثين لنتعرف عليه ، حتى يمكننا استخدامه ، كما استخدمه المسلمون الأوائل في بناء الإنسان المسلم أو في التنشئة الاجتماعية للطفل أو في تعديل سلوكه أو في توجيه للصراط المستقيم ... ولقد مدّنا الإسلام بالعديد من الآيات والأحاديث التي يمكن أن توجهنا إلى استخدام أسلوب الملاحظة ، للتعرف على شخصية الطفل المسلم ، وكيفية التعامل معه وكذلك قد حددت لنا الأعمار التي نحاسبها على عدم اتباعها الأسس والقواعد الإسلامية .

حيث نجد اللَّه ﷻ يقول : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه : ١٣٢] وهذا يعني أن الراعي عليه أن يأمر أهله بالصلاة ولا يتم ذلك إلا إذا لاحظهم بأنهم لم يصلوا ، وكذلك اصطبر عليهم ، تعني أنه على الراعي أن يصطبر عليهم وهو يلاحظهم حتى يتأكد من أنهم يصلون ، أو لا يصلون حتى يواجههم . كما قال رسول اللَّه عليه الصلاة والسلام : « **علموا الصبي الصلاة لسبع سنين واضربوه عليها ابن عشر سنين** » [(١)] .

وكيف يضربه والده على الصلاة ابن عشر سنين إلا إذا لاحظ أنه لا يصلي ولذا أرشدنا الإسلام إلى استخدام أسلوب الملاحظة حتى نرى حدود اللَّه تنفذ وأن القائم بها لا يقيمها بشكل سليم .

كما أن أسلوب الملاحظة في الإسلام لم يقتصر على جانب واحد ألا وهو الجانب الديني الإيماني من الشخصية والسلوك ، بل تعداه ليشمل جميع الجوانب الأخرى سواء في الشخصية الإسلامية أو في السلوك المجتمعي ، حتى يكون أساسًا للإصلاح الشامل في الكيان الإسلامي الفردي والجماعي ، الديني والدنيوي ، ومن ثَمَّ في كيان الأمة الإسلامية جمعاء .

لذلك سوف نأخذ اتجاه الإسلام في ملاحظته لجوانب شخصية الطفل البالغ من العمر ما بين سن السابعة والرابعة عشر وبصفة خاصة من ١٠ – ١٤ سنة أو من عشر

(١) فتح الباري ، (٥٠٣/١) .

سنوات حتى قبل البلوغ أي أن الطفل في المرحلة الإعدادية حيث نرى أن هذا الطفل قد أمره اللَّه باتباع قواعده طالما وصل إلى مرحلة التمييز والأمر ، وهي المرحلة التي يأمر الإسلام باتباع وتنفيذ حدود اللَّه فيها ، وفيها نجد أن حدود الإسلام تشتمل على كل جوانب الشخصية وليس جنبًا واحدًا منها ، **وهذه الجوانب هي :**

١ - ملاحظة التكوين الجسمي و الصحي .

٢ - ملاحظة الإعداد النفسي الانفعالي .

٣ - ملاحظة الإعداد الاجتماعي التعاملي .

٤ - ملاحظة التكوين العقلي المعرفي .

٥ - ملاحظة الإعداد الإيماني الأخلاقي .

وفي كل جانب من الجوانب السابقة نجد أن الإسلام قد أشار بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر على كيفية الإعداد والتكوين والتعديل والتغيير في هذه الجوانب مستخدمًا أسلوب الملاحظة فيه ومحددًا المرحلة العمرية له ...

ويتضح ذلك من خلال النصوص الدينية في الآيات والأحاديث على النحو التالي :

١ - ملاحظة التكوين الجسمي والصحي :

حيث ركز على ذلك من خلال العديد من القواعد الصحية في كل من المأكل والمشرب والمنام .

* ما رواه البخاري ومسلم عن عمر بن أبي سلمة ﵄ قال : كنت غلامًا في حجر رسول اللَّه ﷺ (أي تحت نظره) ، وكانت يدي تطيش (تتحرك) في الصحفة (في وعاء الطعام) ، فقال لي رسول اللَّه ﷺ : « **يا غلام سمِّ اللَّه ، وكل بيمينك وكل مما يليك** » [١] .

* حين رأى عليه الصلاة والسلام من يشرب الماء شربًا واحدًا كشرب البعير (الجمل) ، فقال لهم - كما روى الترمذي : « **لا تشربوا شربًا واحدًا كشرب البعير ولكن اشربوا مثنى وثلاث ، وسموا إذا أنتم شربتم ، واحمدوا إذا أنتم رفعتم** » [٢] .

---

(١) الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي ، رياض الصالحين ، القاهرة ، دار التراث (ط ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) ، (ص ٢٧٤ ، ٢٧٥) .

(٢) النووي الدمشقي ، المرجع السابق (ص ٢٨٢) .

* روى الإمام أحمد والترمذي وغيرهما عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال : « **ما ملأ آدمي وعاءً شرًّا من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لا بد فاعلًا ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه** » ومن هديه صلوات اللَّه وسلامه عليه في الشراب ، والشرب مثنى وثلاث ... والنهي عن التنفس في الإناء والشرب قائمًا [١] .

* روى مسلم في صحيحه عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال : « **المؤمن القوي خير وأحب إلى اللَّه من المؤمن الضعيف** » .

* روي مسلم في صحيحه أن رسول اللَّه ﷺ قال : قول اللَّه تعالى : « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** ، ثم قال : **ألا أن القوة الرمي ، ألا أن القوة الرمي ، ألا أن القوة الرمي** » .

* وقد كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الولاة ما يلي : « أما بعد فعلِّموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل » .

* وعن عقبة بن عامر قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **ارموا واركبوا وإن ترموا خير من أن تركبوا** » . وكذلك تعويد الطفل على ممارسة الرياضة لتقوية الجانب الحركي وألعاب الفروسية تحقيقًا لقول اللَّه تعالى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ [الأنفال : ٦٠] ، وكذلك ما رواه البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ كان يمر على أصحاب في الرمي فيشجعهم ويقول لهم : « **ارموا وأنا معكم كلكم** » [٢] ، كما روى الإمام أحمد وابن نعيم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعًا : « إياكم والتنعم فإن عباد اللَّه ليسوا بالمتنعمين » [٣] .

٢ – الإعداد النفسي الانفعالي :

مسؤولية التنشئة الاجتماعية الإسلامية تتحدد في خلق شخصية الطفل ، شخصية تتميز بالالتزام والهدوء ، وتتحرك بالإقدام والجرأة ، والصراحة والشجاعة ، والشعور بالكمال والكرامة [٤] .

وبالتالي أتت التنشئة الإسلامية وتوجيهاتها لكي تضع ركائز أساسية حتى تكون

---

(١) فتح الباري ، (٤٣٨/٩) .
(٢) صحيح البخاري .
(٣) فتح الباري (ص ٩٧) .
(٤) عبد اللَّه ناصح علوان ، تربية الأولاد في الإسلام الجزء الأول والثاني – بيروت – دار الطباعة للنشر والتوزيع (١٤٠١هـ – ١٩٨١م) .

الشخصية متزنة منذ البداية أي في مراحل تكوينها الأولى وتبعد الاهتزاز عن الكيان الإنساني كله على أساس إيماني سليم ... حيث قال اللَّه تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴾ [المعارج: ١٩ - ٢٣] من هذا المنطلق نجد أن التحرك نحو تنشئة الأولاد على حياة الاتزان والالتزام بالصلاة والتقوى هي البداية الحقيقية للإعداد النفسي السليم للطفل المسلم .

٣ – ملاحظة الإعداد الاجتماعي التعاملي :

يعتبر إعداد الإنسان المسلم في جانبه الاجتماعي هو جوهر الإسلام ؛ نظرًا لأن الإسلام هو دين معاملة في المقام الأول تحريكًا وتشريعًا وتيسيرًا لأمور المسلمين ، ولم يترك الإسلام تعاملًا إلا وقد وضع له كيانًا وحدودًا ونصوصًا وحسن معاملة .

وقد حدد الإسلام أسلوب التعامل الاجتماعي في الجوانب الآتية :

– **التقوى** : وتتحدد في عدم المساس بكرامة الناس أو الإضرار بهم .

– **الأخوة** : وهي معاملة المسلمين بعضهم لبعض كأخوة وهي واضحة في قول اللَّه تعالى : ﴿ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٣] وكذلك سورة [الحجرات : ١٠] ، [القصص : ٣٥] .

– كما تأكدت هذه المعاني ، فيما أخرجه البخاري ومسلم : « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** » (١) .

– **الرحمة** : وهي تعني الرأفة في التعامل مع الآخرين ، وقد أكد الرسول عليه الصلاة والسلام مثل هذه المعاني من خلال ما رواه الترمذي وأبو داود وغيرهما عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « **لا تنزع الرحمة إلا من شقي** » .

– **الإيثار** : وهو إحساس اجتماعي يترتب عليه تفضيل الإنسان غيره على نفسه في الخيرات والمصالح الشخصية النافعة ، وأكد اللَّه ﷻ في قوله : ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠] .

– **العفو** : وهو يعني التسامح والتنازل عن الحق مهما كان المبتدي ظالماً وجائرًا بشرط أن يكون المعتدي قادرًا على الانتقام ، حيث أوضح ذلك العلي القدير بقوله :

(١) صحيح البخاري (٧٣/١) .

﴿ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٣٧] . وكذلك ما جاء في سورة [الفرقان : ٦٣] ، [آل عمران : ١٣٢] ، [فصلت : ٣٤] .

٤ – التكوين العقلي المعرفي :

إن الاهتمام بهذا الجانب ، ودفع الأسرة والمؤسسات التعليمية للطفل لكي يتعلم وينمي قدراته العقلية له من الأهمية حتى نصل من خلاله إلى نضج العقول وإظهار العبقريات ، ونجد أن هذا الجانب كان له التكوين الأول فنزلت الآيات الأولى تدل على ذلك دلالةً لا جدال فيها حيث قال اللَّه تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١ – ٥] ، وقد أُكدت هذه المعاني وغيرها في هذا الجانب في كل من سورة [الزمر : ٩] ، [طه : ١١٤] ، [المجادلة : ١١] ، [القلم : ١ ، ٢] وغيرها .

إن مسؤولية الاهتمام بالجانب الفكري والتعليمي يجب أن تبدأ من الصغر ، ويجب أن تكون إجبارية وهي تعتبر أمانة كبرى في عنق الآباء والمربيين والمعلمين منذ نعومة أظافر الطفل ، إلى أن يصل إلى سن الرشد يبدأ هو – الإنسان – بتحمل مسؤوليته نحو ذلك ويستكمل جوانب حياته العلمية ؛ لأن الاهتمام بهذا الجانب يبدأ منذ البداية يتركيز أذهان الأطفال على الفهم المستوعب والمعرفة المجردة والإدراك الناضج الصحيح ، والمسؤولية هنا يجب أن توجه نحو ارتباط الطفل منذ بداية حياته بالإسلام ووعيه به دينًا ودولةً ، وبالقرآن الكريم نظامًا وتشريعًا ، وبالتاريخ الإسلامي عزًّا ومجدًا ، وبالثقافة الإسلامية العامة روحًا وفكرًا ، والارتباط الحركي بالدعوة الإسلامية اندفاعًا وممارسةً [١] .

٥ – ملاحظة الجانب العقائدي (الإيماني) :

وهي ملاحظة ارتباط الطفل المسلم باللَّه ربًّا ، وبمحمدٍ رسولًا ونبيًّا وبالإسلام دينًا وروحًا : وذلك من خلال :

* ملاحظة الجانب الروحي ... والذي يلاحظ من خلال ذكر اللَّه تعالى في بداية كل عمل أو عند تأدية أي حاجة ، وذكر رسول اللَّه ﷺ عند سماعه اسمه والثناء عليه ، وتعامله بروح القرآن وآياته قراءة وتلاوةً وحفظًا وشكرًا للَّه وحمده له عند نجاحه في عمله أو إتمام عمله أو تأدية حاجته .

* ملاحظة الجانب الخاص من العبادة وتطبيقها ... والذي نلاحظ فيه سلوك الطفل

(١) عبد اللَّه علوان ، مرجع سبق ذكره (ص ٢٥٩) .

عند تأديته للعبادة من صلاة وصوم وذهاب إلى مجالس العبادة والعلم والفقه للتعبد والتفقه في الدين وأحكام العبادات .

* وملاحظة تأديته الأدعية المأثورة بما يتناسب مع سنه ... وهي في المجالات العديدة وفي بداية كل حاجة ونهايتها ، ففي الصباح والمساء وعند النوم وعند الاستيقاظ ، وعند الشرب والشبع ودخول البيت والخروج منه في السفر ، وكذلك المطر والتعرض للأخطار والمهالك ، وكذلك عند الأرق أو المرض أو الخوف .

* وملاحظة الجانب الخاص بالأخلاق ... والمرتبط بالصدق في القول والعمل . وكذلك الإخلاص والوفاء وحفظ الأمانة وتأديتها ، وحفظ اللسان وعفته من أي سباب أو شتائم أو ألفاظ قبيحة .

وقد قمت بتجسيد الأحاديث والآيات القرآنية وتحويلها إلى سلوك في محاولة لملاحظته في الدليل الهادف إلى التعرف على شخصية الطفل المسلم .

ثانيًا : دليل الملاحظة (كنموذج)

يمكن القول أن دليل الملاحظة (كنموذج) يعد إطارًا من الأسس والقواعد الإسلامية التي من خلالها يتم التعرف على شخصية الطفل المسلم ، حيث أرى أن الملاحظة تفيد بعد تقنيتها وتحديد الأبعاد الأساسية التي يجب أن تلاحظ أو التي يمكن وضعها في نطاق الملاحظة والقياس ... في التعرف على شخصية الطفل المسلم ... مما يساعدنا ويمكننا من السيطرة على هذه الأبعاد وتحديدها وكذلك توجيهها وفق الأسس والقواعد الإسلامية في حالة عدم تواجدها أو تواجدها بشكل غير إسلامي .

ولقد قمت بتحليل العناصر الأساسية للشخصية في ضوء التراث الإسلامي ... متمثلة في سلوك الطفل في محاولة لتحديده وملاحظته ومن ثَمَّ تفسيره ، ومعرفة قبله أو بعده من السلوك الإسلامي في هذه المرحلة ، وكانت هذه المحاولات بهدف :

- مراعاة الدقة في الملاحظة والتسجيل والقياس .

- ضرورة التحكم في الظروف التي يمكن أن تؤثر في عملية الملاحظة وخاصة في عنصرها البشري المتمثل في الملاحظ ... مما يساعد بقدر الإمكان على تجنب أي نوع من أنواع التحيز الشخصي في التقدير .

- تحديد الأبعاد والجوانب التي تخضع للملاحظة حتى نرى مقدار ما يتكشف لنا

من ملاحظات بناء على تجانس بناء الأبعاد الفرعية في كل جانب أي تجانس الملاحظات وتركيزها في جوانب وأبعاد متقاربة ومتلاصقة .

– الوصول إلى الموضوعية ... اعتمدت على تحليل المصادر المعرفية الإسلامية في تصوره لأبعاده الشخصية ، مركزًا على الاستعانة بالأحاديث المحمدية كقواعد وأسس مع الآيات القرآنية كإطار عام ، ونحن كمسلمين لا نستطيع أن نشك لحظة في الأسس الإسلامية وقواعدها ، حيث إنها تحدد لنا الأطر التي يجب أن نتحرك من خلالها والسلوك الذي يجب أن نفعله وكذلك لا نستطيع أن نشك في علميتها ، وسلامة قيمه .

– كما أن القيام بإجراء الملاحظة يعني أننا يجب أن نحدد ما هو الشيء الذي يجب أن نلاحظه ونتعرف على أبعاده ونحدده بدقة ووضوح وموضوعية ونخرج من خلال ذلك بإطار محدد لظاهرة أو موضوع أو كيان اجتماعي أو شخصية بوضوح للملاحظة ... وهنا نحدد شخصية الطفل في الإطار الإسلامي أو شخصية الطفل المسلم .

١ - الهدف من النموذج :

يتحدد هدف النموذج (الدليل) في المقام الأول في توجيه الأخصائي الاجتماعي الذي يعمل في مجال الطفولة للتعرف على سلوك الطفل وتصرفاته وأفعاله والتي يمكن من خلالها فهم أبعاد هذا التكوين الشخصي للطفل ، ومداه وقربه أو بعده عن شخصية الطفل المسلم ، كما جاء في الكتاب والسنة .

أما بالنسبة للأهداف العملية الأخرى ... يمكن تحديدها في الآتي :

– إن إقامة هذا الدليل يعبِّر عن محاولة تأصيل مجال من أهم مجالات العمل المهني ألا وهو مجال الطفولة ، في المصادر المعرفية الإسلامية .

– إنه يحدد لنا أبعاد شخصية الطفل المسلم وجوانبها وبتطبيقه يعرفنا مدى قرب شخصية الطفل من الشخصية الإسلامية أو بُعده عنها .

– يساعدنا بتحديد الأبعاد الإسلامية الناقصة في شخصية طفلنا المسلم على العمل على معالجة هذا النقص أو جوانب الانحراف ، قبل أن تتوغل فيه فتحدث خللًا في الكيان الإنساني الشخصي للطفل المسلم . وحتى لا تضيع كل الأبعاد في زماننا هذا .

– كما أن استخدام هذا النموذج لأطفال مدرسة أو مؤسسة يوضح لنا إلى أي مدى ترتبط هذه المدرسة أو المؤسسة بمناخها وبيئتها التي تحتويها مع الإطار الإسلامي ، وهذا

ما نتعرف عليه من خلال قُرب وبُعد الأطفال في كلٍّ منهم من هذا الدليل .

– كما أن استخدام هذا الدليل لأطفال بيئة معينة ، يوجهنا إلى علاج البيئة كلها في الجوانب الناقصة أو المنحرفة بدلًا من العمل على التعامل الفردي مع كل طفل على حدة .

– كما يمكن استخدام عناصر هذا النموذج وأبعاده في تنشئة الأطفال تنشئة اجتماعية سليمة وخاصة للأطفال الذكور .

وهذا النموذج وهذه الأهداف من وراء استخدامه توجهنا نحو الاهتمام بشخصية الطفل المسلم ، وكذلك إلى الاهتمام بالبيئة الأسرية أو المدرسية أو المؤسسة التي تكوِّن هذه الشخصية ، حيث يعتمد تكوينها على هذه البيئة .

وكذلك يبين لنا استخدامه إلى أن دور الإخاء يتعدى تعامله مع الطفل وكذلك مع الأسرة والمدرسة والمؤسسة ، إلى التعامل في بعض الأحيان – وإن كان في تصوري في الكثير من الأحيان – مع البيئة كلها وخاصة لو استخدم التعامل مع البيئة المحلية يكون التأثير أقوى .

٢ - بناء الدليل (النموذج) :

في اعتقادي أنه على الرغم من وجود مقومات الشخصية الإنسانية كاملة الأبعاد ، متكاملة الجوانب في الإسلام ، منذ نشأتها وكذلك في مرحلة طفولتها وشبابها ورجولتها ، كأحد الأطر في الدليل والذي أخذنا منها موضوع شخصية الطفل المسلم ، بناءً على القواعد والأسس الإسلامية في الكتاب والسنة ، ووجود الأبنية الأساسية لهذه الشخصية في أبعادها الجسمية والنفسية والعقلية والاجتماعية والإيمانية في نطاق العقيدة والعبادة والمعاملة والسلوك والأخلاق والفكر والمعرفة ، ومن ثَمَّ المطلوب عند بناء الدليل من وجهة نظري أن على وسائلنا المهنية وأساليبها أو آلياتنا المهنية العمل على التأصل لبناء نسيج اجتماعي إنساني على أسس إسلامية وقواعد إيمانية ، وكذلك العمل على تأصيل كيفية التفاعل والانسجام والتلاحم والانصهار مع الكيان الإسلامي في عقيدته وأسسه وقواعده .

وعلى الرغم من اعتقادي بأن تكامل بناء الشخصية في الإسلام في مراحلها المتعددة ، قد حددها اللَّه ﷻ في قوله : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ ﴾ [البقرة : ١٣٨] إلا أنه يبقى المطلوب منَّا هو محاولة تشكيل الكيان المهني في ضوء الأصول الإسلامية ، كما يبقى علينا أيضًا أن نحاول تفريغ الشكل المهني من المواريث الفكرية المنقولة أو المنظورة والتي يجب أن يتم تمحيصها وتنقيتها من الأصول غير الإسلامية ، والتي يمكن

بوجودها أن تشكل عائقًا بل عوائق تقودنا إلى انهيار المجتمع الإسلامي ، إذا لم نتمكن من وضع المواريث في موقعها المناسب الصحيح الذي يتماشى مع الإسلام .

ولبناء دليل الملاحظة « كنموذج » لنتعرف على شخصية الطفل المسلم .. فقد اتبع الباحث عددًا من الخطوات المتتابعة ، **سوف نقوم باستعراضها على النحو التالي :**

– تحديد الموضوع الرئيسي ، الذي يتم على أساسه بناء هذا الدليل ، ألا وهو ملاحظة شخصية الطفل المسلم .. بل والتأكد من قابلية النصوص والقواعد والأسس المحددة للملاحظة ، باعتبارها سلوك يعبِّر عن كيان شخصية الطفل المسلم .

– تم تحديد المرحلة العمرية التي من خلالها يتم تحديد الأبعاد الأساسية للشخصية ، وقد تم تحديد العمر من عشر سنوات حتى الرابعة عشر وهي المرحلة التي يكون أوامر الدين بدأت تنفذ ونجدها في سلوك الطفل قبل البلوغ .

– على ضوء ذلك ، قام الباحث باستعراض الإطار المعرفي الإسلامي في أسسه وقواعده وأحكامه .

– تم تحديد الأبعاد الأساسية للشخصية في الجوانب الجسمية والنفسية والعقلية والاجتماعية والإيمانية العقائدية ، وقد تم تحديد العبارات الخاصة والدالة في كل جانب من الجوانب السابقة بناء ، على دراسة موضوع الشخصية في الإسلام في مرحلة الطفولة ، وفي العمر المحدد ، وعلى الأسس والقواعد الإسلامية التي يجب أن تكون في سلوك الطفل في هذه المرحلة العمرية ، وقد تحقق من ذلك الصدق الموضوعي للنموذج .

– تم عرض هذا النموذج – بعد صياغة عباراته ، والتحقق من الصدق الموضوعي بالرجوع إلى العديد من المراجع الإسلامية – على هيئة من المحكّمين من أعضاء هيئة التدريس بكلية الخدمة الاجتماعية – عشرة من أعضاء هيئة التدريس – حتى يمكن أن أحقق الصدق الظاهري لهذا النموذج أيضًا ، وقد تم الاسترشاد بآرائهم وخاصة في صياغة بعض العبارات أو حذف بعض العبارات .

– قام الباحث بمراعاة مجموعة من الاعتبارات في وضع الصورة النهائية للنموذج يمكن عرضها على النحو التالي :

أ – أن تكون الأبعاد الأساسية معبرةً عن أبعاد الشخصية الإسلامية .

ب – أن تكون التقسيمات الفرعية – داخل كل بُعد أساسي – شاملةً ومعبرةً عن البُعد الأساسي .

جـ - رُوعي في العبارات التعبير الدقيق الصادق - قدر الإمكان - عن الشيء وارتباطها بالبُعد ارتباطًا أساسيًّا ، كما أن محتواها لا يعبِّر إلا عن البُعد نفسه .

د - تم وضع بعض العبارات في بُعدها الأساسي ، على الرغم من وجودها في أكثر من بُعد وفي مقدمة بعض الأبعاد ؛ وذلك نظرًا لانتهائها إلى البُعد الذي وضعت فيه فمثلًا ؛ « **سم اللَّه ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك** » وضعت سمٌ اللَّه في البُعد الإيماني العقائدي وليس البعد الخاص مع القواعد الصحية المرتبطة بالجانب الجسمي . وهكذا .

هـ - قام الباحث بصياغة النموذج كمقياس في شكله النهائي ، ثم قام بوضع الأوزان على اعتبار أربع أوزان أساسية للملاحظة وهي دائمًا ، أحيانًا ، نادرًا ، لا .

نظام تصحيح النموذج (كمقياس) :

١ - يتم تصحيح النموذج بناءً على أربع مستويات متدرجة وهذه المستويات هي :

دائمًا	٣	ثلاث درجات
أحيانًا	٢	درجتان
نادرًا	١	درجة واحدة
لا		

* هناك بعض العبارات سالبة ، ويتم تصحيحها عكسيًّا ، أي أن : -

دائمًا	صفر	
أحيانًا	١	درجة وا حدة
نادرًا	٢	درجتان
لا	٣	ثلاث درجات

الأرقام السلبية :

٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٩٥ .

* **الأبعاد الأساسية للنموذج وتقسيماتها :**

ويمكن إيضاحها بهذا الشكل في الجدول الآتي :

م	الابعاد	عدد العبارات	الأبعاد الفرعية	أرقام العبارات	عدد العبارات الفرعية
١	الجسمي	٣٠	أ – القواعد الصحية الجسمية .	١ – ٢٢	٢٢
			ب – سلامة الجسم وقوته .	٢٣ – ٣٠	٨
٢	النفسي	٢٢	أ – الذات النفسية .	٣١ – ٣٥	٥
			ب – بعض الظواهر النفسية .	٣٦ – ٥٢	١٧
٣	العقلي	١٢	أ – اقباله على العلم وخاصة الديني .	٥٣ – ٥٨	٦
			ب – وعيه بالاسلام فكريًا .	٥٩ – ٦٤	٦
٤	الاجتماعي	٣٦	أ – تعاملاته الاجتماعية .	٦٥ – ٧١	٧
			ب – تفاعلاته الاجتماعية .	٧٢ – ٩٤	٣٢
			جـ – مشاعره مع الآخرين .	٩٥ – ١٠٠	٦
٥	الإيماني	١٧	أ – الجانب الروحي .	١٠١ – ١٠٤	٤
			ب – تطبيقه للعبادة .	١٠٥ – ١٠٩	٥
			جـ – الجانب الأخلاقي .	١١٠ – ١١٧	٨

* يتكون المقياس من ١١٧ عبارة ، تعبر عن شخصية الطفل المسلم ، ومدى اقترابه أو ابتعاده عن الأسس والقواعد الإسلامية في الكتاب والسنة ، وقد قسمت ووضعت في أبعاد تدل عليها ، وداخل كل بُعد ، أبعاده الفرعية الدالة عليه .

* ينبغي أن نوضح في هذا الشأن الدرجة النهائية على النموذج (المقياس) وهي التي يتم وضعها بناءً من ملاحظتنا للسلوك وتصرفات الطفل وفقًا للعبارات الموضوعة ، على أساس أن الدرجة الكلية للمقياس هي عبارة عن عدد العبارات × الدرجة الكبرى للعبارة الواحدة .... أي

= ١١٧ × ٣ = ٣٥١ .

أي أن لو استكملت ملاحظتنا تمامًا لشخصية الطفل ورصدنا التزامه التام بالنهج الإسلامي يحصل على ٣٥١ درجة ، وهي تعبر عن الدرجة النهائية ، إلا أن حسابنا للدرجة الكلية لملاحظتنا وفقًا للقياس ... تحسب على النحو التالي :

الدرجة الكلية : = درجة ملاحظة الأبعاد / الدرجة النهائية للمقياس = ... ٪

أو الدرجة الكلية : = درجة ملاحظة الأبعاد / ٣٥١ = ... ٪

كما يمكن حساب كل بعد فرعي على حدة من خلال عباراته ، ونعطي مثالًا لذلك :

الدرجة الكلية للبعد الجسمي : = درجة ملاحظة البعد الجسمي / الدرجة النهائية للبعد = ... ٪

الدرجة الكلية للبعد الجسمي : = درجة ملاحظة البعد الجسمي / ٣ × ٣٠ = ... ٪

وهكذا يمكن حساب كل الأبعاد الفرعية بل الجوانب الفرعية للأبعاد .

* نود أن نشير إلى أن هناك أبعادًا جزئيةً في بعض الأبعاد الفرعية بالنموذج يمكن توضيحها على النحو التالي :

- ففي البُعد الجسمي وفي بُعده الفرعي أو الخاص بالقواعد الصحية الجسمية ، نجد أنها قسمت إلى ثلاثة أجزاء ، الأول خاص بالمأكل (١ - ١٤) ، والثاني خاص بالمشرب من (١٥ - ١٨) ، والثالث خاص بالنوم من (١٩ - ٢٢) .

- وفي البُعد النفسي وفي بُعده الفرعي والخاص ببعض الظواهر النفسية ، نجد أنه يقسم إلى أربعة أجزاء وهي خاصة بكل من :

ظاهرة الخجل من (٣٦ - ٤٠) .

وظاهرة الخوف من (٤١ - ٤٣) .

وظاهرة النقص من (٤٤ - ٤٩) .

وظاهرة الغضب من (٥٠ - ٥٢) .

وهذا التوضيح بغرض سهولة استخدام بعض جوانب المقياس الفرعية بصفة خاصة .

وسوف نقوم بعرض النموذج بأبعاده الأساسية والفرعية على النحو التالي :

دليل الملاحظة (كنموذج) (*) للتعرف على شخصية الطفل المسلم :

أولًا	ملاحظات خاصة بالجانب الجسمي	يلاحظ			
		دائمًا	أحيانًا	نادرًا	لا
أ	**ملاحظات خاصة باتباعه القواعد الصحية الجسمية :**				
١	يغسل يده قبل الأكل .				
٢	يأكل بهدوء .				
٣	يأكل مما يليه (أي من الطعام الذي أمامه مباشرة) .				
٤	لا يسبق غيره في تناول الطعام .				
٥	يتناول الطعام بيمينه .				
٦	يمضغ الطعام جيدًا .				
٧	لا يأكل متكئًا .				
٨	لا يأكل أكثر من حاجته .				
٩	لا يأكل الفاكهة وهي فجة .				
١٠	لا يأكل الخضار قبل غسله .				
١١	لا يعيب على طعام يقدم إليه .				
١٢	لا يستهزأ بالنعمة .				
١٣	يتحدث على الطعام (فهو شيء مستحب) .				

(*) لقياس مدى اتباع الطفل الأسس والقواعد الإسلامية .

obeikandl.com

أولًا	ملاحظات خاصة بالجانب الجسمي :	يلاحظ			
		دائمًا	أحيانًا	نادرًا	لا
١٤	يغسل يده بعد الأكل .				
١٥	يشرب بهدوء .				
١٦	يشرب مثنى وثلاث (في المرة الواحدة) .				
١٧	لا يتنفس في الاناء .				
١٨	لا يشرب فوق حاجته .				
١٩	ينام على الجانب الأيمن .				
٢٠	ينام مبكرًا .				
٢١	يستيقظ من النوم مبكرًا .				
٢٢	لا ينام بعد الأكل مباشرة .				
	ب – ملاحظات خاصة بسلامة الجسم وقوته :				
٢٣	يحرص على ممارسة الرياضة .				
٢٤	يمارس حياة الجد .				
٢٥	يمارس أنشطة التسلق والقفز والجري				
٢٦	يمارس الرماية .				
٢٧	يمارس ألعاب الفروسية أو ركوب الخيل .				
٢٨	يمارس السباحة .				
٢٩	لا يدخن .				
٣٠	لا يتناول المسكرات أو المخدرات .				
ثانيًا ملاحظات خاصة بالجانب النفسي :					
	أ – ملاحظات خاصة بالذات النفسية :				
٣١	يثق في نفسه .				
٣٢	يحترم نفسه .				
٣٣	يشعر بحاجته للنجاح .				
٣٤	يعتمد على نفسه في القيام بواجباته .				

obeikandl.com

٣٥	لا يقبل الفشل ويصر على النجاح .				
	ب – ملاحظات خاصة ببعض الظواهر النفسية :				
٣٦	ينكمش على نفسه (ولا يتفاعل مع أقرانه) .				
٣٧	ينطوي على نفسه (ولا يرغب في التعامل مع الآخرين) .				
٣٨	يبتعد عن مواجهة الناس .				
٣٩	لا يرغب في الدخول في علاقات حتى مع أقرانه .				
٤٠	لا يبدي رأيه أمام الناس .				
٤١	يشعر بالجبن من أي شيء .				
٤٢	يتردد في اتخاذ قرار بنفسه .				
٤٣	يهرب من تحمل المسؤولية .				
٤٤	يتردد في اتخاذ قرار بنفسه .				
٤٥	يقبل قرار أقرانه دون مناقشة .				
٤٦	لا يشارك أقرانه في المناقشة .				
٤٧	يكثر من التحدث عن نفسه .				
٤٨	يلفت الانظار إليه بأي وسيلة .				
٤٩	ليس له صاحب .				
٥٠	يغضب لأتفه الأسباب .				
٥١	يثور بما لا يتناسب مع المواقف .				
٥٢	لا يملك زمام نفسه عندما يغضب مع زملائة .				
ثالثًا ملاحظات خاصة بالجانب العقلي :					
	أ – ملاحظات خاصة بإقباله على العلم وخاصة العلم الديني :				
٥٣	يحفظ القرآن .				

obeikandl.com

٥٤	يتعلم أحكام العبادات .				
٥٥	يقرأ الكتب الدينية .				
٥٦	يحفظ الأحاديث الدينية .				
٥٧	يتعلم تفسير الأحاديث الدينية .				
٥٨	يقدم بجراءة على العلم وخاصة العلم الديني .				
	ب – ملاحظة وعيه بالإسلام فكريًا :				
٥٩	يستشهد بالآيات القرآنية عند حديثه مع زملائة .				
٦٠	يستشهد بالآحاديث النبوية مع زملائه .				
٦١	يلجأ إليه زملاؤه لتفسير بعض الأحاديث الدينية .				
٦٢	يحتكم إليه زملاؤه في بعض المواقف الدينية .				
٦٣	يستشهد بالتاريخ الإسلامي في بعض المواقف .				
٦٤	يسرد قصص الرسول والأنبياء .				
ملاحظات خاصة بالجانب الإجتماعي :					
	أ – ملاحظات خاصة بتعاملاته الاجتماعية :				
٦٥	يحسن معاملة والديه ، أو من يقوم مقامهما .				
٦٦	يحسن معاملة ذوي الأرحام .				
٦٧	يحسن معاملة جاره .				
٦٨	يحسن معاملة معلمه ، (يحترمه ويوقره) .				
٦٩	يحسن اختيار الرفيق والجليس الصالح .				
٧٠	يحترم الأكبر سنا ويوقره .				

obeikandl.com

٧١	يطي الأكبر سنًا .				
	ب – ملاحظات خاصة بتفاعلاته				
	الاجتماعية :				
٧٢	يلقي السلام .				
٧٣	يرد على التحية بأحسن منها .				
٧٤	يحسن أداب المجلس ؛ من حيث :				
٧٥	يصافح من يلتقي به من بني جنسه .				
٧٦	يجلس في المكان الذي يخصص له .				
٧٧	لا يجلس بين اثنين إلا بعد استأذانهما .				
	يستأذن قبل انصرافه من المجلس .				
٧٨	يراعي أداب الحديث عند التحدث مع الآخرين .				
٧٩	يتحدث باللغة العربية الفصحى (لأنها لغة القرآن) .				
٨٠	يتمهل في الكلام أثناء الحديث .				
٨١	يخاطب الآخرين على قدر الفهم .				
٨٢	يصغي إلى المتحدث .				
٨٣	يقبل كمتحدث على الجلساء جميعًا .				
٨٤	بسيط في حديثه .				
٨٥	مهذب في سؤاله .				
٨٦	يحسن الوصول لما يريده في رقة وأدب .				
٨٧	يمسح أثار الخطأ في حديثه إذا صدر منه .				
٨٨	يحسن الاعتذار للآخرين .				
	يراعي أداب المزاح :				
٨٩	حسن المزاح .				
	لا يكذب في مزاحه .				
٩٠	لا يجادل في مزاحه (حتى وإن كان صادقًا) .				

obeikandl.com

٩١	يحسن تهنئة الناس ببشاشة وسرور .				
٩٢	يقدم على زيارة المريض بحب وتعاطف .				
٩٣	يحمد اللَّه عند العطاس والتثاؤب .				
٩٤	يرد على الأخرين عند العطاس ؛ يرحمكم اللَّه .				
	جـ – ملاحظات خاصة بمشاعره النبيلة مع الأخرين :				
٩٥	ليس أنانيًّ في تعامله مع الآخرين .				
٩٦	يحب للأخرين كما يحب لنفسه .				
٩٧	يعامل الآخرين بحب ورفق ومودة .				
	يتقبل القضاء والقدر .				
٩٨	لا يحزن إذا مرض .				
٩٩	لا يغضب إذا انفعل عليه أحد .				
١٠٠	لا يعترض عند وفاة أحد والديه ، أو عزيز عليه .				
رابعًا ملاحظات خاصة بالجانب العقائدي الإيماني :					
١٠١	يذكر اسم اللَّه في بداية أي عمل أو تأدية أي حاجة (*) .				
١٠٢	يصلي على الرسول عند ذكر اسمه .				
١٠٣	لا يتحدث عند سماعه القرآن يُتلى .				
١٠٤	يحمد اللَّه عند قضائه حاجة أو الإنتهاء من عمل .				
	ب – ملاحظات خاصة بجانب تطبيقه للعبادة :				
١٠٥	يؤدي الصلاة بانتظام في أوقاتها .				
أ – ملاحظات خاصة بالجانب الروحي الإيماني :					
١٠٦	يصوم في شهر رمضان .				

(*) قبل الأكل والشرب والنوم أو المذاكرة .

obeikandl.com

١٠٧	يذهب إلى مجالس العبادة .				
١٠٨	يذهب إلى مجالس العلم والفقه .				
١٠٩	يؤدي الأدعية (*) .				
	جـ – ملاحظات خاصة بالجانب الأخلاقي :				
١١٠	لا يكذب في أقواله .				
١١١	لا يخلف في وعوده .				
١١٢	يؤدي الامانه إلى أصحابها .				
١١٣	لا يسرق (ولو كانت أشياء تافهة) .				
١١٤	لا يتلفظ بالسباب .				
١١٥	لا يتفوه بالشتائم .				
١١٦	يحترم من هم أكبر منه .				
١١٧	يعطف على من هم أصغر منه .				

ثالثًا : إطار تصوري لدور الأخصائي الاجتماعي في استخدامه لدليل الملاحظة كنموذج ومقياس

تعتبر الملاحظة من أهم المهارات الأساسية التي يجب أن يتميز بها الأخصائي الاجتماعي في عمله ؛ حيث إن مهارة الأخصائي الاجتماعي فيها تُحدد في الشفافية الحسية في التعرف على سمات شخصية العميل ؛ بصرف النظر عن نوع العميل ، وسنه ومشكلته أو حاجته ، ومحاولة استنباط العلاقات بحسه المهني بما يمكنه من تحقيق عملية المساعدة بأحسن صورة ممكنة .

من هذا المنطلق يتوقع الكثير من المهنيين ، وربما الأخصائيين الاجتماعيين أن أسلوب الملاحظة بما فيه من مهارة يستخدمها الأخصائي الاجتماعي لا يستخدمه إلا لفهم أبعاد الشخصية وعلاقاتها بالموقف الإشكالي ، وغالبًا ما تكون هذه الأبعاد قد رسمتها علوم النفس والاجتماع ... إلا أنه يجب أن تتنبه الأذهان أن استخدام أسلوب الملاحظة يختلف باختلاف الاتجاه الذي يتحرك به الأخصائي الاجتماعي وكذلك بالشيء

(*) مثل الدعاء عند النوم والإستيقاظ والإفطار وفي حالة الأرق والحزن والهم والسفر .

obeikandl.com

الملاحظ ؛ ولذلك سوف نوضح هذا الدور من خلال ارتباطه بمجموعة من المتغيرات الأساسية التي تحركنا في استخدام أسلوب الملاحظة وبالتالي دليل الملاحظة .

ويمكن لنا استعراض هذه المتغيرات بما فيها من تصور للأدوار على النحو التالي :

١ – ارتباط دور الأخصائي الاجتماعي بمبادئ أساسية :

لكي يتحرك الأخصائي الاجتماعي في عمله ويقوم بدوره ، لا بد أن يلتزم بمبادئ أساسية ، اتفقت عليها غالبية كتب الخدمة الاجتماعية دون شك أو تناقض بينهم ، ودون تفضيل إحداهما على الآخر ، وهذه المبادئ هي الالتزام الديني في المقام الأول ، ثم الالتزام الأخلاقي ، ثم الالتزام المجتمعي . وفي تصوري أن الالتزام الأخلاقي ما هو إلا ترجمة عملية للالتزام الديني إلا أن توضيحه والتركيز عليه هو عبارة عن الاعتراف بالكيان الاجتماعي وما أنتجه من نسيج أخلاقي ... وأن الالتزام المجتمعي لا بد وأن يضع الدين في مقامه الحقيقي .

ويعود التزام الأخصائي الاجتماعي بمبدأ الالتزام الديني إلى اعتبار أساسي ألا وهو إن فلسفة الوجود الإنساني من المنطلق العقائدي هي الإيمان باللَّه وتوحيده والعمل على تحقيق سننه على الأرض ؛ لأن الإنسان ما هو إلا خليفة اللَّه على الأرض . وعليه أن يقوم في حياته ملتزمًا بما أنزله اللَّه ، وبما يدعو إليه نبيه ، ونود الإشارة إلى أنه بدون أن ننادي به لا بد من تطبيق هذا المبدأ في عملنا مع جميع عملائنا وأفراد المجتمع ، إلا أن التأكيد عليه يعني أن هناك مؤثرات متعددة تدعونا إلى ذلك وهي :

أ – تزايد النزعات الفردية الذاتية – مغريات الوجود الإنساني – مما دفع بعض الناس ، بل الكثير منهم نحو الابتعاد عن الالتزام بالأسس والقواعد الدينية .

ب – تزايد جهل الناس بالنواحي الدينية ؛ وذلك نظرًا لانشغالهم بأمورهم الدنيوية وخاصة المادية وبالتالي تكوين النشأة بعيدًا عن الإطار الإسلامي .

جـ – تفسير بعض الناس لبعض الجوانب الدينية بطريقة خاطئة أو غير سليمة ؛ نظرًا لنقص الدعاة أو تزايد الناس ، أو عدم التركيز في الفهم ، أو عدم الرغبة في فهمها إلا بالشيء الذي يحقق بعض الأغراض الوقتية ، بما يجعل تنشئةً الطفل تنشئة مهزوزةً دينيًا أو مضطربةً في جانبها الديني .

٢ – ارتباط دور الأخصائي الاجتماعي بمجال الطفولة :

يعمل الأخصائي الاجتماعي في العديد من المجالات ومن بينها مجال الطفولة ،

وتوجد العديد من المشكلات في مجال الطفولة من بين هذه المشكلات اهتزاز الكيان الاجتماعي للطفل أو اهتزاز بنائه الشخصي نتيجة لتنشئته على أساس برامج وأساليب ومناهج وضعية وربما غربية ، زاد هذا الاهتزاز تداخل الثقافات الغربية بعرضها العديد من البرامج والأفلام ليست من قيمنا وديننا وإطارنا الثقافي وتنوع المدارس وخاصة للأطفال بمناهجها الغربية والتي ربما يكون فيها جانب علماني ؛ مما يخلق تناقضًا بين الوجود الاجتماعي الذي يعيشه الطفل في بيئته الاجتماعية وبين ما يتعلمه ، ويسمعه من البرامج المدرسية أو الإعلامية ... وهنا تضطرب شخصية الطفل ويدخل في العديد من المشكلات والانحرافات السلوكية ... ويتحرك الأخصائي الاجتماعي في عمله معه ... لذلك لا بد وأن يبدأ الأخصائي في معرفة إلى أي مدى تقترب هذه الشخصية من كيانها الطبيعي القيمي أي إلى أي مدى تقترب من شخصية الطفل المسلم ... وهنا يتحدد دور الأخصائي الاجتماعي في جانبين أساسيين :

– إما أن يساعد الأبوين على فهم كيفية تحقيق ملاحظتهم للتعرف على شخصية طفلهم .

– وإما أن يقوم أثناء تواجده في المدرسة بملء هذا الدليل أو النموذج ، وهنا يبدأ دور الأخصائي الاجتماعي في استخدام ملاحظته نحو العميل على التعرف على شخصية الطفل .

إلا أننا نوجه الأذهان إلى أن ملاحظات الأخصائي الاجتماعي في هذا الشأن كثيرة ... ويمكن له إقامة ملاحظاته وتسجيلها أولًا بأول وذلك من خلال :

أ – قيامه بنفسه أثناء تواجده مع الأطفال في الجماعات المختلفة بالمدرسة وخاصة في أنشطتها التي يمكن أن تستغرق ساعات أو أيام ؛ مثل الرحلات أو المعسكرات أو الأندية الصيفية حتى تكون مساعدته لأطفالنا مبنية على أساس إسلامي سليم من خلال ملاحظته والتعرف على الجوانب الناقصة في شخصيته .

ب – مساعدة الأبوين أو المعلمين عن طريق تعليمه (وهنا يقوم بدور الخبير) بملء دليل الملاحظة .

جـ – يمكن أن نستعين بأكثر من شخص يملأ دليل الملاحظة ، وإن كان هذا يمكن أن يعطي انعكاسًا خاطئًا لاختلاف الملاحظين ، ولذلك أرى أنه يمكن أن يملأ دليل الملاحظة وفق ملاحظاته ويستعين بالأبوين أو من يقوم مقامهما وبالمعلمين والمربيين ويقارن الملاحظات أو يأخذ متوسط درجة الملاحظة بين الملاحظين .

٣ – تنوع المؤسسات التي يعمل معها :

نجد أن هنالك العديد من المؤسسات التي يتاح فيها تعامل الأخصائي تعاملًا لصيقًا مع الأطفال لفترات طويلة ، وعلى سبيل المثال كما قلنا المدرسة إلا أن هنالك مؤسسات أكثر من بينها مؤسسات الأحداث ، والمؤسسات الخاصة باليتيم ، ولو أضفنا الأندية والساحات الشعبية لوجدنا أن الأخصائي الاجتماعي يقضي وقتًا طويلًا ملاحظًا لسلوك أعضاء هذه المؤسسات خاصةً مؤسسات الأحداث بالذات نظرًا لانحراف سلوكهم ، فهم بدرجة أو بأخرى بعيدين عن النهج الإسلامي ؛ لذلك لا بد وأن يحدد الأخصائي الاجتماعي إلى أي مدى يكون هذا البُعد من خلال تواجده المتلاصق بهؤلاء الأحداث وعلى ضوء ملاحظاته يكون قياسه لأبعاد الشخصية الإسلامية في الطفل ، ثم يبدأ في بناء برامجه العلاجية مستخدمًا أسلوب القدوة في علاج الكثير من جوانب الانحراف .

٤ – تنوع الأهداف التي يسعى لتحقيقها :

هناك العديد من الأهداف التي يسعى الأخصائي الاجتماعي لتحقيقها ومنها الأهداف العلاجية والوقائية والإنشائية ، ونجد أن دوره في الاستخدام لدليل الملاحظة كمقياس يساعد على قيامه بالدور الوقائي حتى لا تنحرف شخصية الطفل عن الشخصية الإسلامية ، إلا أنني أرى أن وجود الدليل مع الأخصائي الاجتماعي يمكن أن يقوم بأهدافه الإنشائية بناءً على برامج اجتماعية تتحرك في الكثير من البرامج المهنية ، وتتحرك أدوار الأخصائي الاجتماعي نحو :

أ – دفع الأفراد إلى اختيار برامج تلفزيونية لها الصبغة الدينية في الكثير من الأوقات .

ب – دفع أعضاء الجماعات المدرسية إلى اختيار رحلات فيها طابع إسلامي وفي حالة اختيارهم رحلات إلى مدن للترفيه ، يمكن أن يضع في البرنامج زيادة بعض المتاحف الإسلامية أو الآثار الإسلامية داخل برنامج الرحلة .

جـ – عند قيام جماعات المدرسة أو المؤسسات أو الأندية أو الساحات الشعبية بعمل حفلات لا بد وأن يوجههم الأخصائي إلى القيام بحفلات لها طابع إسلامي ويساعدهم على سرد القصص الإسلامية والسيرة النبوية وسيرة الأنبياء .

كما نود الإشارة إلى أن قيامه بدوره الإنشائي يمكن أن يتحدد بناء على استخدام الدليل لتحديد أي جانب يحتاجه إلى المساعدة نتيجة لبُعده أكثر عن الكيان والنهج الإسلامي ، مستثمرًا برامجه المتنوعة وأنشطته المختلفة وأدواره المتعددة في تحقيق أهدافه

العلاجية والوقائية والإنشائية .

من خلال هذه العملية البسيطة يتضح لنا أن استخدام الأخصائي الاجتماعي لهذا النموذج كمقياس يفيد ليس فقط لمرحلة الطفولة في مجالها المدرسي ولكن لمرحلة الطفولة في مجالات ومؤسسات متنوعة وبأهداف عديدة أهمها المحافظة على شخصية الطفل المسلم .

* * *

obeikandl.com